مجلة العلوم
الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف
بالمسيلة

AR	تضايف الفلسفة والأدب " كتابات الجاحظ أنموذجا"
ENG	Letters of Al-Jhahez between the dilution of philosophy and literature
FR	Lettre D'Al-Jahiz entre La Dilution De La philosophie et de La littérature

د.فريدة أولمو Oulmou farida

قسم الفلسفة جامعة الجزائر 2 الجزائر

Farida0808@gmail.com

Department of Philosophy University of Algeria

تاريخ الارسال	تاريخ المراجعة	تاريخ القبول للنشر
14- 01- 2018	07- 05- 2018	30-05- 2018

الملخص باللغة العربية:

تتمحور هذه المقالة حول علاقة الفلسفة بالأدب من حيث التكامل والتضايف بينهما جماليا وفنيا ومن حيث التمايز والتمازج بين اللغة والفكر؛ وقد أدرجنا كتابات ودراسات أبا عثمان الجاحظ كنماذج عن هذا التقارب والتضايف لاسيما فيما جاء في كتابه " البخلاء" و"البيان والتبيين " ومعظم ما كتبه عن النساء وخبايا المجتمع منشغلا بالبحث عن" القيم" الغائبة من خلال الفكاهة والأدب الفلسفي الضاحك.

حاولنا في هذه المقام العلمي تناول الفلسفة الجمالية وعلم الجمال في الفكر العربي الإسلامي من منظور الفلسفة والأدب معا حيث تتماشى الحكمة العقلية مع اللسانيات العربية والمتعة الذوقية والجمالية.

Résumé en français:

Dans cet humble article, nous abordons la dimension esthétique entre la philosophie et la littérature et soulignons l'interdépendance, l'adaptation et l'intégration à travers les lettres et les écrits du célèbre philosophe "Abou Othman Al-Jahiz".

Dans cette étude modeste, nous avons abordé les caractéristiques du message esthétique et artistique dans les écrits d'Al-Jahiz à travers la relation entre la sagesse philosophique et l'ironie littéraire. Nous avons abordé les questions les plus importantes de la Oummah islamique, qu'Al-Jahiz traitait avec ironie dans la plupart de ses messages tels que "Femmes", "Quadrature et Rotation".

Abridged summary :

This article focuses on the relationship between philosophy and literature , In this humble article, we try to address the aesthetic dimension between philosophy and literature and to highlight the interdependence, adaptation and integration, while through the letters and writings of the famous philosopher "Abu Othman Al-Jahiz." The aesthetic and artistic vision is reflected between the sender, the recipient, and the literary philosophical message, which show the nature of aesthetic pleasure and aesthetic taste In Arab-Islamic thought.

Al-Jahiz combined mental wisdom with social intelligence, and tried to raise the issues of his time in a cynical comic form.Al-Jawhaz combines mental wisdom with social intelligence. He tried to raise the issues of his time in a comic and cynical format. He addressed women's issues and described their beauty and paper. We were pleased to give him the qualities of a beautiful, moderate woman who is not fat or skinny and considered women to be part of society. "el nissae," Qayyan ", as he set his humility and humor on the scorn, greed and greed.

Maythe r's attention to the philosophy of Al-Jahiz is the aesthetic discourse, the visual pleasure that depicts things, people and bad habits, and absent values that try to address their issues wisely, with all purposeful ironyAl-Jhahez says: "There is no quadrature in the work without the creature, and while I hate the structure without what has been given and the nature of its nature, and that every square in its back is round, it is rotated by it and the protagonist took part in its share." Nature of perception and self-element in color vision: "And tell me about the color of peacock What is it? I say that he does not have a truth, but they recite as much as the interview? Or say: that there is a specific color and the rest is concealing ",This is one example of his genius and his endless generosity. This is the true integration between the mind and the Arabic language, between the wisdom in dealing with social pests and the desire to read when we read what Al-Jahiz wrote.

In the latter we can only prove the integration and integration between philosophy and literature in the Arab-Islamic thought with Al-Jahiz and with "Tawheedi" and with other philosophers of literature, and more importantly, the philosophy of beauty and art in Islamic civilization brought together:

Wisdom, fun, taste, beauty and enjoyment, language, reading, poetry, prose.
Hence, it appears that philosophy and literature are closely intertwined with the relationship between eternal love.

The aesthetic philosophy does not look at partial research in the technical vocabulary, and does not consider its value in terms of quality and inferiority. Rather, it examines the arts in general in terms of creativity, beauty, and judgment, in the sense that it examines the philosophical values that interpret beauty in all arts, Not in a particular art, meaning: do not take an independent art, but look at the literary genre or literary art in general, a holistic view through the standards set, and may be looking at the art of the arts, but to arrive through this research to the provisions of college, To all branches that fall under this art; to reach the provisions of a college applied to all artists N without exception. It is therefore clear to us that research in artists, their environments, their ages, their circumstances, and their characteristics in order to reach the results related to each part of these particulars in particula

المقدمة:

أقف في هذه الورقة البحثية على فرضية التكامل الجمالي بين الفلسفة والأدب،والقصد من هذا الطرح ليس التسلسل التاريخي لعلاقة الفلسفة بالأدب، ولا البعد الفلسفي في الكتابات الأدبية على مر الحضارات والثقافات وإنما تهدف هذه الورقة إلى إبراز ملامح التضايف والتداخل والتكامل جماليا (فلسفة الجمال) ويمكننا في هذا المقام الإشارة إلى عينة من الدراسات التي تناولت هذا الطرح الجمالي المعاصر، وهذا التضايف البيني فلسفة وأدبا، إما تأييدا أو تفنيدا ك كتاب بيار ماشيري «بمَ يفكر الأدب» الذي ترجمه جوزيف شريم ونشرته المنظمة العربية للترجمة في بيروت.

والكاتب Raymound Barfield في كتابه «الشجار القديم بين الفلسفة والشعر» الذي يبرز فيه جرد تاريخ العلاقة بين الفلسفة والشعر في أوروبا.

كذلك فيليب سابو في كتابه (الفلسفة والأدب) الذي يعد الأدب شبحا يختبئ في دولاب الفلسفة، الشيء الذي يعني أن الأدب ظل، على الدوام، محايثا، بالضرورة، لمراحل التفكر الفلسفي وأشكال تظهيره.والنماذج كثيرة في الدراسات الجمالية الحديثة والمعاصرة كأن تساءل سارتر ما الأدب ؟. و نجد جون بول سارتر في مسرحياته وكتاباته طرح قضايا معقدة عن علاقة الفلسفة بالأدب وأقيمت على إثر هذه النزعة السارترية عدة دراسات في الفلسفة وفي النقد الأدبي الحديث والمعاصر؛ لكن التساؤل المطروح هنا هل كان هذا الطرح قائما في الفكر العربي فلسفة وأدبا وهل تنبه النقاد العرب، وفلاسفة الجمال إلى طرح هذا الجدل ؟

وهنا لابد من التساؤل هل كان ثمة تضايف بين الفلسفة والأدب عند العرب والمسلمين؟، وهل يمكننا الاستناد إلى كتابات الجاحظ ورسائله استشهادا واستدلالا على هذا التضايف من عدمه ؟ .

- تاريخ العلاقة بين الفلسفة والأدب : إذا نظرنا إلى الأدب بشقيه نثرا وشعرا نجد الشعر أقرب إلى التداخل مع الفلسفة منذ الحضارات القديمة ومنذ

لعبت الأسطورة دورها الأعظم في تشكيل الفلسفات المختلفة والآداب. وبظهور الفلسفة اليونانية أصبح الجدل قائما بين الميتافيزيقا والشعر تنافرا وتناحرا عند البعض وتقاربا تداخلا عند البعض الآخر من الفلاسفة الشعراء ولأن الوجدان والجمال تمازجا لم يعد من الممكن رفض الشعر ولا التخلي عن الفلسفة، فما الميتافيزيقا والشعر إلا "صورتان إنسانيتان للتعبير عن الوجود، كما أن منطلقهما هو الإنية المتفاعلة روحياً وعقلياً مع ذلك الوجود."[1] ويمكننا أن نستشهد تاريخيا بتلك الروائع الأدبية التي خلفها هوميروسHomère ، هزيودHésiode ، سوفوكليس Sophocle وأوريبدس Euripide ألم تحمل في ثناياها أفكارا فلسفية ذات قيمة إنسانية عالية وجسدت ملاحم الإنسان ومغامراته وتساؤولاته عن الكون والوجود ثم الم تكن هذه الروائع أيضا محل اهتمام وتأثير في أدباء ومفكرين عديدين من عصور متتالية جمعها حب المعرفة و التذوق الجمالي .

يقول الأستاذ محمد جديدي "... بمجرد أن نأخذ بالبعد العملي للفلسفة حتى ندرك مدى التقارب بينهما. فالفلسفة من حيث هي حكمة عملية وسلوك وفضيلة ودعوة إلى القيم هي كذلك هذا الجزء الذي نفهمه من الأدب بوصفه تهذيبا وتربية ودعوة إلى التمسك بالرفيع والنبيل من الشيم والأخلاق. إنهما يهدفان إلى انتصار الخير الأسمى..."[2]ويستشهد بقول دانتو: "لا يمكنني تصور ميدان كتابة أكثر خصوبة من ناحية التعابير الأدبية من الفلسفة[3]".

- ثلاثية العلاقة بين الفلسفة والأدب وعلم الجمال : وبهذا تتأكد العلاقة التوافقية والتكاملية بين الفلسفة والأدب وعلم الجمال حيث يرتكز ثلاثتهم على ثلاثية اللغة والفكر والذوق.

فعن مكانة اللغة في الحكم الجمالي وفي تكامل الفلسفة بالأدب حاول مارتن هيدجر ربط علاقة وطيدة بين الفلسفة والشعر عن طريق إحداث الروابط بينها والوقوف عند

القواسم المشتركة بين الفلسفة والأدب؛ والقاسم المشترك بينهما في نظره هو اللغة؛ لأن الشعر والفلسفة يؤسسان وجودهما بواسطة اللغة؛ ولهذا يؤكد أن الفلسفة والأدب مرتبطان ارتباطا وثيقا والعلاقة بينهما علاقة عشق أبدي، وأنه لا يتم التكامل والتضايف بينهما في غياب التجربة الجمالية التي تعد ضربا من الممارسة الوجدانية والعقلية، ومشاركة إيجابية تلتقي فيها عناصر العملية الإبداعية القائمة على أسس ثلاث :

*المرسل الجمالي(الكاتب): الذي هو مؤسس الرسالة الجمالية وهو المبدع الرامي إلى الجمع بين الفكرة والإبداع بين الحكمة والمتعة ،بين الفلسفة روحا والأدب ذوقا.

***الرسالة(النص الأدبي):** أو الصورة الجمالية التي لا تستقيم إلا بالانسجام والتناغم والإيقاع الفكري واللغوي فلا فكر بدون لغة و لا لغة خاوية خالية من فلسفة خاصة تحملها ،وهذه الرسالة بالضرورة رسالة فنية جمالية ذوقية وهي في دراستنا هذه العمل الفني الأدبي.

***المتلقي (المتذوق)أوالقارئ:** وهي الحالة الوجدانية لمتلقي الرسالة أو الصورة الجمالية(العمل الفني الأدبي أو الأدب الفلسفي) وهي حالة داخلية يعيشها الفنان والمتذوق بالاشتراك في تجارب جمالية عدة لا تخلو من الدهشة والانجذاب والمتعة فليس هناك من مجال فلسفي سيرتبط فيه الأدب بالفلسفة قدر ارتباطه بعلم الجمال . .

يعتقد الدكتور مصطفى عبده في كتابه :"فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني " أن التجربة الجمالية التي يمارسها الفنان والمتلقي تثري الخبرة الجمالية وتعمق المعرفة الجمالية ، وتلعب الدور الأساسي في إظهار الإبداع الفني من حالة اللاوجود إلى حالة الوجود من خلال الإدراك الجمالي والقدرة الإبداعية...." وهنا الانطلاقة الحقيقية للعلاقة التفاعلية الإيجابية بين الفلسفة والأدب وهذا ما أراد نيتشه(Friedrich Wilhelm Nietzsche) التعبير عنه في كتابه "ولادة التراجيديا" مدافعا عن الأدب .

كما أن الحديث عن الأدب الفلسفي يعني العلاقة بين المضمون الفكري والشكل الإبداعي وهو ما يصب في خانة الإبداع ويترك أثرا في نفسية المتلقي الذي هو بالتأكيد المعنى بالرسالة التي يتم إنتاجها من قبل المبدع كما سبق وأن أوضحنا ذلك؛ وبالنظر إلى

النص الفلسفي على أنه وليد منظومة من الروابط الفكرية التي تخضع إلى سلطة ثقافية وسياسية واجتماعية وبالأحرى إلى منظومة قيمية متكاملة تحدد دوائر الفكر و إلى الإبداع الأدبي على أنه استجابة المبدع سلبياً أو ايجابياً للواقع السائد والمهيمن حيث ينتج رسالة فكرية تحاول أن تدافع عن هذا الواقع أو أنها تحاول أن تنتقده بشكل مباشر أو غير مباشر وهي في كل هذه الأحوال تنتج نصا هو الأدب الفلسفي،أو الفلسفة الإبداعية الأدبية: فالإبداع ثلاثي التركيب : مبدع ، ونص ، وقارئ .

- **وهنا يبدأ الطرح الإشكالي هل ثمة أدب فلسفي أم هناك فلسفة للأدب** ؟ خاصة مع تزايد حاملي قبعة" أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء" من كتابنا وشعرائنا وأدبائنا وفلاسفتنا القدامى منهم والمحدثون وحتى بعض المعاصرين.

يقال أن الأدب الفلسفي هو أدب أولا ثم فلسفة ثانيا؛ إنه أدب يحمل بعدا فلسفيا؛ فيه التساؤلات الفلسفية المقلقة بقضاياها الوجودية الكبرى؛ لكن على الرغم من ذلك فإنه يبقى أدبا جميلا بمداعبته للغة وللخيال وللعاطفة ومبهرا بألوان البديع . . ومن هنا ارتبطت القضايا النقدية بالفكر الإسلامي وبدأت ملامحها المميزة تظهر بقوة منذ القرن الهجري الأول. يقول طه أحمد إبراهيم متحدثاً عن أواخر هذا القرن: "لا نزال إلى الآن في عهد فطري خالص يرينا أن العرب تذوقوا فيه كثيراً من جمال الأدب، وعرفوا بعض عيوبه قبل أن يعرفوا هيكل

لغتهم، وطرق الإسناد فيها كما يقول البلاغيون، عرفوا الجميل من الصياغة قبل أن يحللوا هذه الصياغة من وجهة التراكيب، ووضع الألفاظ في نظم خاص لتؤدي معنى خاصا، أو لتحدث جمالاً خاصا، عرفوا ذلك قبل أن تكون لهم دراسات في لغة أو نحو أو صرف؛ عرفوه طبعاً لا تعلماً. وإذا لم يكن عجيباً أن يتكلموا فيعربوا، وأن يصححوا الوزن دون أن يكون لهم عهد بنحو أو عروض فليس عجيباً كذلك أن يدركوا بعض عناصر

الجمال أو بعض مظاهر الضعف في كلامهم، دون أن يكونوا في حاجة إلى أصول علمية توقفهم على ذلك"[4].

ويمكننا تفسير هذا الحكم بأن العرب المسلمون في هذه الحقبة كانت له فلسفة خاصة وأن كتاباتهم كانت مجرد مراصد نقدية عفوية قائمة على الفكرة قبل التسلح بقواعد اللغة.

ومن الشعر ننطلق مع الفرابي حيث يؤكد بدوره إلى أن للشعر(أدب) نافع و لذيذ معا(فلسفة) و لهذا تتحدد قيمته عنده في كونه مفيد و ممتع، و يتجلى ذلك بوضوح عندما يذكر صراحة أن الشعر يستخدم في أمور الجد و أمور اللعب، و قد شرح ذلك بقوله :" و الأقاويل الشعرية منها ما يستعمل في الأمور التي هي جد،و منها ما شاء أن تستعمل في أصناف اللعب، و أمور الجد التي هي جميع الأشياء النافعة في الوصول إلى أكمل المقصودات الإنسانية، و ذلك هو السعادة القصوى..."[5] هذا ما حاول توضيحه في الموسيقى الكبير معبرا عن الدلالة الفلسفية للشعر؛ كما عبر عن ذلك أيضا في كتابه إحصاء العلوم. قائلا:"...و الأقاويل الشعرية هي التي تركب من أشياء، شأنها أن تخيل في الأمر الذي فيه المخاطبة حالا ما ، وأشياء أفضل وأحسن ، وذلك إما جميلا ، وإما قبيحا وجلالة أو هوانا ، أو غير ذلك مما يشاكل هذه...(...) ويعرض لنا عند استماع الأقاويل الشعرية أعني عن التخيل –كذا – الذي يقع في أنفسنا عنها شبه ما يعرض لنا عند نظرنا إلى الشيء الذي يشبه ما نعاف، فإذا من ساعتنا يخيل لنا في ذلك الشيء أنه مما يعاف وتفرق أنفسنا منه فنتجنبه ..." ويضيف "...وإنما نستعمل الأقاويل الشعرية في مخاطبة إنسان ليستنهض بفعل شيء ما ، وباستفزازه إليه ،واستدراجه نحوه وذلك إما يكون المستدرج ذا روية أو لا روية له ترشده ، فينهض نحو الفعل الذي يلتمس منه بالتخيل مقام الروية..."[6].

كذلك ابن سينا كان هو الآخر، فيلسوفاً شاعراً في بعض أعماله. وقد أراد أن يحمّل بعض شعره موقفاً فلسفياً كاملاً؛ و إليكم بعض من قصيدته "العينية"، في خلود النفس وعلاقتها بالبدن[7]، فها هو يقول فيها:

هَبطَتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ **** ورقــاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّع

محجوبةٌ عن كُلِّ مقلةِ ناظرٍ **** وهي التي سَفَرت ولم تتبرقَــعِ

وصلت على كُرهٍ إليكَ وربما **** كَرِهَتْ فراقكَ وهي ذاتُ تفـجُّعِ

وأظنُّها نسيتْ عهوداً بالحِمى **** ومـنازلاً بـفراقها لـم تَقْنعِ

حتى إذا قَرُبَ المسيرُ إلى الحِمى **** ودنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسعِ

سَجَعَتْ وقد كُشِفَ الغطاءُ فأبصرتْ **** ما ليس يُدْرَكُ بالعيون الهُجّع

فـكأنّها بـرقٌ تألّقَ بالـحِمى **** ثـم انطوى فـكأنّه لم يلمعِ

إن لجوء العديد من الفلاسفة والأدباء إلى الأنواع الروائية للتعبير عن أفكارهم الفلسفية ليس عيبا و لا عارا فكريا بل متعة وقوة إبداعية كأن نجد رسالة الغفران" للمعري، وقصة "حيّ بن يقظان" لابن طفيل والتي تعد من أكثر القصص الفلسفية والأدبية نجاحا في العصر الوسيط بسبب ما كان يتوفر فيها من شروط الصياغة الفنية والسرد القصصي تخصيصاً؛ ويظهر ذلك بجلاء في محاولة "ابن طفيل" بوعي وبشكل قصصي من خلال تطوره الطبيعي، ودون معرفة مسبقة بالشرائع الدينية أن يبلغ حالة عقلية اجتماعية راقية؛ وأن يصل إلى حقيق الله وإثبات وجوده، وهذا هو سر خاتمة هذه الرواية الحوارية.

فما سر تزاوج الفلسفة والأدب في كتابات الجاحظ؟

وهل هناك تكامل بين الفلسفة الإعتزالية (المعتزلة) والأدب الساخر؟

هذا ما نحاول استقراءه من خلال بعض النصوص الجاحظية في مجالات عدة كالأخلاق، المرأة، الغزل، البخل.....وغيرها.

- الجاحظ: جدلية العلاقة بين الفلسفة والأدب: في هذه النقطة ننبه القارئ إلى الفرضية التي انطلقنا منها، وهي " التكامل والتضايف الجمالي في كتابات الجاحظ" ومن خلال النماذج والرسائل الجمالية في كتاباته

الساخرة مما يؤكد ويبين في مواضيع كثيرة ثبوت التكامل بين العقل والعاطفة، وبين الحكمة والخيال الخلاق؛ وقد أدرجنا بعضا من ترجمة الجاحظ وسيرته الذاتية للبرهنة والحجاج على المشارب الفكرية المتنوعة التي انتهل منها؛ فيما أسميناه " الجاحظ أديب أم فيلسوف"، فمن هو الجاحظ ولماذا أطلقنا عليه هذه التسمية ؟

الجاحظ ينحدر الجاحظ من جد يقال له: فزازة واسم جده الأول "محبوب" كان حمالا لأبي القلمس، عمر بن قلع الكناني ثم الفقيمي، ويقال أنه من العناصر الإفريقية المستقرة[8].

هو أبو عثمان بن عمر بن بحر بن محبوب الكناني، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، وكان ذميم الوجه، قصير القامة، حتى أن المتوكل لما رآه عندما دعاه لتأديب ولده، أجازه ورده لذمامته.[9]

ولأنه كان ذميم الخلقة، قبيح المنظر، مربوع القامة هجاه أحد الشعراء:

لولا يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

رجل ينوع (ينوب) عن الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرف لاحظ

لم يثبت تاريخ ولادته بالضبط لكن الرأي المعتدل يذهب إلى أنه ولد سنة (159 هـ/775م).[10]

كنيته أبو عثمان وقد قال في ذلك:نسيت كنيتي ثلاثة أيام، حتى أتيت أهلي فقلت لهم، بما أكنى فقالوا بأبي عثمان.[11]

كان طموحا متعطشا لألوان المعرفة وكان كلما عرف شيئا إلا وزاد حبه للعلوم والفنون ومطالعة الكتب وقد اتفق النقاد وأنه: "لم يقع بيده كتاب إلا واستوفى قراءته كائنا ما كان..."[12]. كان عصاميا يعمل ويتعلم في آن واحد.

وحين اشتد التمازج العنصري بين الأجناس المختلفة التي ضمتها الخلافة العباسية ونتج عن ذلك تزاوج واختلاف فكري إلى جانب اختلاف العادات والمعتقدات والثقافات انفتح الجاحظ على مختلف هذه الثقافات والعلوم والميزة الرئيسية التي تفرد بها الجاحظ هي اتخاذه المجتمع مادة لقلمه، وقد شق بذلك تيارا جديدا اتبعه الكتاب من بعده لأنه تناول بيئة عصره بالنقد والوصف والتحليل في أكثر ما كتب، كان ينتقل هازئا تارة بين مختلف المواضيع، من الثقافة إلى الأديان إلى...إلى الأحزاب والشيع والطبقات وذلك لتأثره بـ: أ- الثقافة الإسلامية (الدينية)::

اعتبر الجاحظ عالما من علماء الكلام وبذلك كان لازما عليه أن يأخذ القرآن الكريم الذي هو يصفه بالعبارات التالية :"حجة على الملحد وتبيان للموحد، قائم بالحلال المنزل، والحرام المفصل وفاصل بين الحق والباطل، وحاكم يرجع إليه العالم والجاهل..." [13].

فالقرآن الكريم هو المحرك الأول لفكر الجاحظ شأنه في ذلك شأن باقي الفلاسفة المسلمين إذ بلغت الفلسفة الإسلامية أوجها في العصور الوسطى يوم كان الدين هو الخط الفاصل بين الأفراد والجماعات[14]، ومن مظاهر تأثر الجاحظ بالقرآن الكريم، كثرة استشهاده بآياته فالجاحظ يبذل قصارى جهده أثناء رده على الخصوم في البحث عما يؤيد رأيه من آيات القرآن الكريم.

أثر الحديث النبوي الشريف: جعل الجاحظ ما جاء به الرسول (ص) دلائل على صدق القرآن[15]. وقد خصص لها كتاب "حجج النبوة" الذي يقول فيه: فإذا نزلت الأخبار منازلها وقسماتها ذكرت حجج الرسول (ص) ودلائله وشرائعه وسننه.."[16].

إن من يقترب من الجاحظ يرى أن من خصائصه "نزعة فطرية إلى التهكم والضحك، فقد ساعدته هذه النزعة على التغلب على مصاعب كثيرة، اعترضته في الحياة فهو ما كان ينظر إلى هذه الحياة من زاوية سوداء، بل العكس، كان ينظر إليها من زاوية وضاءة..[17]

ولعل طريق التهكم والضحك الذي اتخذه الجاحظ كان نوعا من الحيل الدفاعية اتخذها ليتقرب من الناس ويتودد إليهم، وسواء كان تفسير السلوك الجاحظي التهكمي على أنه

فطري وفي طبيعته أو أنه ناجم عن شخصية ذكية فطنة فإن التهكم الجاحظي كان لأسباب كثيرة لم تكن في معظمها للسخرية الاحتقارية، بل بمثابة سلاح يستعمله إما دفاعا عن نفسه أو كنوع من الاستنكار لموقف ما كان يجب أن يكون صحيحا.

ولما كان الجاحظ قد عاش في عصر قد كثرت فيه الزندقة وعاشت فيه طائفة من الخرافات في طبقات العامة، وبعض العلماء والمؤلفين فإن الجاحظ لم يجد بدا له من التنبيه إلى هذه الخرافات و الوقوف على تبيان هذا الضلال، وهو الرجل الذي وقف نفسه على نصرة الحق كله، فلم يبق للجاحظ إلا إظهار ما عنده والقيام بما يلزمه من نصره للحق وهجمة على الباطل، خاصة أنه قد كثرت خصومه و كثر حساده ومتعقبوه، فلم يجد له أمض سلاحا من التهكم، هذا التهكم الذي قال فيه فولتير: "إذا أردت أن تقتل خصمك فاجعله هزأة" .[18]

لقد صقلته ظروف قاسية، كما صقلته فطرته واستعداده الشخصي حتى قيل عنه:

"كان مطبوعا على التطرف والفكاهة لا ينظر إلى

الأمر نظرا اكتراثيا، ليس هو نظر السوداوي،

ولا نظر العصبي، وكان أميل إلى التفاؤل منه

إلى التشاؤم، يبدو عليه السرور وحب الدعابة،

وخفة الروح ينظر إلى الأمور في واقعيتها، كما

ينظر إلى الناس، نظر الخبير بأطباعهم وأخلاقهم،

فيحاسن الكبراء دون إسفاف، ويتجنب مخاشنتهم

تفاديا من شرهم..."[19].

وقد تشرب الجاحظ من مثقفيه الفكاهة وروح الجد والمرح فكانا عنده متزاوجان وهذا ما انعكس عليه "ولعل روح الأصمعي الفكاهة المضحكة، شعت على تلميذه الجاحظ فكاهة

ودعابة، وقد توسع فيها بما مدته به طبيعته وطبيعة عصره وأخذ عن أبي عبيدة فكره ودهاءه مع سعة علمه..."[20].

كان الجاحظ على درجة عالية من الذكاء الاجتماعي يصل إلى أعماق الناس عن طريق كتاباته الممزوجة بالجد والفكاهة وقد أشاد أحمد أمين بالعقلية المعتزلية للجاحظ فيقول: "قل أن يقبل خرافة، بل يهزأ بمن يقبلها، بل هو في كثير من الأحيان يقف على الاعتقاد حتى يجرب ويشك، ويدعو إلى الشك، حتى تثبت صحة النظرية ويستغرب القارئ من منطقه" [21].

وهنا نتساءل عن طبيعة هذا الشك ؟ هل هو من سمة الأدباء أم من مناهج الفلاسفة ؟؟؟

يعتبر الجاحظ خير من وظف "القصة توظيفا تربويا، فقد ملك خاصية البيان والتشويق فعبر عن شخصيات قصصه، بأحسن ما يكون التعبير إذا كان يستخدم أسلوب التصوير النفسي الداخلي والحركي الخارجي قصد نوعية الأفراد عن طريق الضحك على نحو ما نرى في" البخلاء"،" الحيوان"، "المحاسن والأضداد".

كان بارعا في تصوير الشخصية والنفوس، ولو أنه عرف الأدب التمثيلي لأسعفته ملكته في المناظرة والحوار، بقصص تمثيلية كثيرة وهو بحق لا يبارى في وصف الحركات الجسدية، والمشاعر النفسية..."[22].

2-الخطاب الجمالي والأدبي في كتابات الجاحظ:

* مفهوم الجمال لدى الجاحظ : مما لا يخفى علينا أن الجاحظ وجد صعوبة في تحديد مفهوم الجمال حيث يقول: "فإن أمر الحسن أدق وأرق من أن يدركه كل من أبصره".[23]

فليس في استطاعة جميع الناس الوقوف على الجمال والقبح وذلك لما لاحظه من اختلاف الناس في أمره، قيل لأعرابي ما الجمال؟ قال طول القامة وضخم الهامة، ورحب الشدق، وبعد الصوت".[24]

حدد الجاحظ الجمال بأنه التمام والاعتدال، وهو يعني بالتمام كمال الأقسام في الشيء دون زيادة أو نقصان وهنا التساؤل هل هذا المفهوم مفهوما فلسفيا أم أدبيا ؟

قال:

" أما تجاوز المقدار كالزيادة في طول القامة أو كدقة

الجسم أو عظم الجارحة، أو سعة العين أو الفم مما يتجاوز مثله من الناس المعتدلين في الخلق، فإن هذه الزيادة متى كانت، فهي نقصان في الحسن، وإن عدت زيادة في الجسم، والحدود حاصرة لأمور العالم ومحيطه بمقاديرها الموقوفة لها فكل شيء خرج عن الحد في خلق أو خلق حتى في الدين أو الحكمة الذين هما أفضل الأمور فهو قبيح ومذموم..."[25]

وما هذه الفقرة إلا دليل على أن معيار الجمال هو الشيء المتوسط المعتدل التكوين فهو النموذج الذي نقارن به سائر الأشياء فما اقترب منه عد جميلا و ما ابتعد عنه اعتبر قبيحا.فماذا عن وصفه لجمال المرأة بين الفلسفة والأدب قائلا :

ويعطينا الجاحظ نموذجا عن جمال المرأة فيصفها بما يلي:

" التامة المعتدلة الأعضاء التي لم تزد أعضاؤها

عن الحد في الضخامة، وتتناسب فيما بينها بحيث

يخلو جسمها من الفضول والزوائد وتكون بين الجسيمة

والممشوقة ويعتدل فيها المنكبان، ويستوي الظهر

ويحسن القد، وهذا التركيب يسمح لها بأن تنثني

في مشيتها فتستولي على القلوب وتجلب الأبصار..."[26]

لكن ما الذي جعل الجاحظ يطلق هذه الأحكام الذاتية ؟ وبهذه الصبغة الفلسفية ؟

بالفعل علينا التذكر أن الجاحظ كان متأثرا بأفكار أرسطو لذلك فإننا نلاحظ التشابه بين التعريفين، فأرسطو يرى أنه " لا يمكن لكائن أو شيء مؤلف من أجزاء عدة، أن يكون جميلا إلا بمقدار ما تكون أجزاؤه منسقة وفقا لنظام ما، ومتمتعة بحجم تعريف لا اعتباطي" "هكذا إذن تأثر الجاحظ بفلسفة أرسطو وبكتابه "فن الشعر"

إن الجاحظ ينظر إلى الجمال نظرة موضوعية فيعتبره قائما في الأشياء وليس ذاتيا، فالجمال يشمل جميع الأجسام الموجودة في الطبيعة كالأبنية والفرس واللباس، والزرع والبنفسج..."[27].

والاعتدال الذي يراه الجاحظ في كل شيء في الحياة ويعتبره نوع من الحسن يقول عنه: "وأنا مبين لك الحسن، وهو التمام والاعتدال، ولست أعني بالتمام تجاوز مقدار الاعتدال..."[28].

وقد حدد له عدة خصائص فلسفية امتداد لما جاء به أستاذه اليوناني أرسطو وللنزعات الفلسفية والثقافات الفارسية والهندية التي تشربت منها فلسفته الخاصة في الحياة. ومنه هذه السمات:

*أن الجمال يدرك **بالنظر والعقل** معا يقول: "وقد عرف الشاعر وعرف الواصف أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وكل شيء تشبه به، ولكنهم إذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون...". أي لا بد من تحكيم العقل والوعي في وصف الجمال.

*أن للجمال مقاييس دقيقة نلجأ إليها عندما نحكم على جمال الأشياء متمثلة في الاعتدال والتوسط يقول الجاحظ في هذا "...لا يفوت منها شيء كالعين الواسعة لصاحب الأنف الصغير الأفطس والأنف العظيم لصاحب العينين الضيقتين، والذقن الناقص والرأس الضخم والوجه الفخم لصاحب البدن المجدع النضو (النحيف)، والظهر الطويل لصاحب

الفخذين القصيرين، والظهر القصير لصاحب الفخذين الطويلتين وكسعة الجبين بأكثر من مقدار أسفل الوجه"[29].

وهذا يعني أن إدارك الجمال يحتاج إلى تأمل وذكاء ودراية وقد أطلق عليه الجماليون المعاصرون مفهوم "الذوق الجمالي" "**فكل شيء خرج عن الحد في خلق أو خلق أو حتى في الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور، فهو قبيح ومذموم..."**[30].

وارتكزت فنون الجاحظ في ضبط هذا المفهوم علي:

البلاغة، ومما جاء على لسانه: فإن" اقتران الحروف، فإن الجيم لا تقارن الطاء ولا القاف ولا الغين بتقديم أو بتأخير، والزاي لا تقارن الطاء ولا السين الضاد ولا الدال بتقديم أو تأخير..."[31].

وقد نجد في الأدب العربي هذا التنافر في حروف الألفاظ مجتمعة في جملة أو بيت شعري تثير الإضحاك والسخرية لما فيها من غياب التناغم والانسجام.

الخطابة: وهي فن القول بغية الإقناع والتأثير[32] وبنظر الجاحظ فإن أبرز آيات الخطابة هو البيان وفصاحة اللسان وهذا النوع من الفن أيضا استخدم فيه الجاحظ هزله وسخريته العقلية ليبين معايب القوم وحقائق الأمور.

الشعر: اعترض الجاحظ أن يكون الشعر كلاما موزونا فقط، فهو صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"[33] أي أنه إبداع وخيال وقد استخدم موهبته هذه في معالجة القضايا العلمية الفلسفية والأدبية.

وعلى هذا فبقدر ما كان الجاحظ يتذوق الجمال كان يمج القبح وإلى هذا يستند حسه الفني ومنه تنبع نزعته النقدية الساخرة.

وقد رأينا أصول الجمال التي اعتمدها تلك الأصول التي إذا ما توافرت على الشيء أو العمل عد جميلا. وإذا انتفت عنه عده قبيحا، إذ القبح نقيض الجمال أو انعدامه عند الجاحظ.

وهو يقر بوجود الجمال في الكائنات الطبيعية ويحاول أن يطبق عليها أصوله التي أرجعها إلى التمام والاعتدال يقول:

" الاعتدال أو الوزن أو التناسب بين أعضاء الجسم أو أجزاء الشيء هو سر الجمال الذي نراه في الأبنية وأنواع الفرش واللباس، والقنوات التي تجري فيها المياه، والزرع والبنفسج...[34].

ولم يستطع الجاحظ أبدا إخفاء انفعاله بالقبح فصعد إلى التنفيس عنه بأدبه ونوادره التي ساقها عن نفسه.

وخلاصة هذا أن الجاحظ قد عرف الضحك أو السخرية بغياب الاعتدال والانسجام وقد كان سباقا لنظريات الجمال المعاصرة التي اتفقت أن الضحك ناجم عن حنيننا إلى التناسق المفقود ونفورنا مما يفسده هو الباعث على المفارقات والهزل والتهريج والكاريكاتور وغيرها من الفنون الساخرة والهادفة معا[35]

إلا أن الجاحظ لم يهتم بهذه الفنون تفصيلا إلا ما تعلق منها بفن الأدب الذي جسد فيه خصائص الكاريكاتور وغيرها من خلال الفصاحة والبلاغة والشعور والخطابة كما أشرنا.

إذن الجاحظ أديب في فكر فيلسوف أم ماذا؟

لنتناول بالدراسة نصا ثانيا روى في كتابة "البخلاء" قصة "محفوظ النقاش" التي دعاه فيها صاحب القصة إلى منزله للمبيت عنده بسبب تهاطل المطر والبرد القارص بعد خروجها من المسجد، وبعد وصولهما قدم له النقاش طبقا من الطعام لكن بخله الشديد جعله يبحث للجاحظ عن أسباب مختلفة كي لا يتناول الطعام ككبر السن، المرض... ، إلى غير ذلك من احتمالات ترده عن أكل الطعام؛فأجابه الجاحظ ضاحكا: "**فإن شئت فأكله وموت، وإن شئت فبعض الاحتمال ونوم على سلامة**"[36].

ويمكننا في النصوص القادمة أن نستأنس بالأدب الفلسفي مع الجاحظ من خلال : **أ- التلميح**: فقد كان الجاحظ يلمح إلى الرذائل والآفات الاجتماعية وأنماط السلوك الشاذة وغير الأخلاقية من خلال كتاباته المضحكة وقد قيل: "يدسها دسا بارعا، لا تكاد تراها إلا

إذا كنت مطبوعا على فعلها جديرا بإدراك خفاياها، فإن أدركتها على هذه الصورة ألفيتها قارصة لاذعة، فياضة بمعاني التهكم الخفي..."[37].

وإن كان هذا القول لأحد النقاد فهو يؤكد أنه يستخدم التلميح الساخر ويخاطب به العقول النيرة التي تستوعب خفاياه مثلما فعل في رسالة "التربيع والتدوير".

ب-التصريح والتجريح: ويكون قصد الإصلاح بعد تبيان العيوب وإظهارها وقد قيل عنه في هذا أيضا : "فلا يكتفي فيها بالتعريض، بل يميل إلى إظهار الاستهزاء والتهكم على أنه يحصن نفسه بنطاق الذوق السليم في إخراج تهكمه الموجع...".

3-الأدب الفلسفي والنزعة العقلية المعتزلية:(نماذج عن كتاباته)

وهذه من خلال الجمالية والمتعة والسخرية وإليكم بعض النماذج من الأدب الفلسفي :

*استخدم الجاحظ هذا اللون الفني في كتاباته مبرزا السمات الشاذة والعيوب المختلفة بغية إحداث أثر ضاحك من خلال منظر يصفه أو شخص يعايبه كما جاء على لسانه:

"...**ومن غريب ما أتيت، وبديع ما أعطيت أن لم نر مقدودا واسع الجفرة غيرك، ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك، فأنت المديد وأنت الطويل، وأنت البسيط وأنت المتقارب، فيا شعرا جمع الأعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول**..."[38]

إن ما نلاحظه في هذا النموذج التصويري أن الجاحظ خرج من المألوف العادي إلى الغرابة في الخلقة معتمدا في ذلك على المبالغة المفرطة والتضخيم التمثيلي والتلاعب بالألفاظ التي استغلها في إثبات صور بديعية (الجناس، الطباق...إلخ).

كما بين شكل الجسم الذي جمع بين المتناقضات فهو مقدود رشيق من جهة، وواسع مستفيض من جهة أخرى، وهذا ما يبعده عن وحدة النغم والوزن كالبيت الشعري الذي تجتمع فيه تفاعيل البحور وهذا ما يفقده الجمال الطبيعي انسجاما ليتحول الخصم من هيئة الاعتدال في بنية الأجسام إلى وجود تضاد وتنافر دلالة على افتقاد الجمال.

*ومن أبرع تصويره الحسي ما حكاه على لسان الحارثي (أحمد) في كتابه "البخلاء" مصورا هيئة "علي الأسواري"(*) وهو يأكل إذ قال: "**وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعرقا، فبلغ ضرسه وهو لا يعلم، وكان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عينه وسكر وسدر، وانهر، وتربد وجهه، وعصب ولم يسمع ولم يبصر، فلما رأيت ما يعتريه وما يعتري الطعام منه، صرت لا آذان له إلا ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي (الفول)، ولم يفاجني (يفاجئني) قط وأنا آكل تمرا إلا ستفه سفا، وحساه حسوا، وزاد به زدوا، ولا وجده كنيزا إلا تناول القطعة كجمجمة الثور**..."[39](2) (**)

وإذا وقفنا على هذا التصوير الحسي القصصي نلاحظ دقه التصوير وقوة الملاحظة وكأنما ريشه رسام تبين لنا الرجل واقف أمامنا من خلال حركاته الآلية في التهامه للطعام، وما يزيد من جمالية التصوير القصصي أنه فطري لا يحتاج إلى صنعة أو تشبه أو استعارة إلا لتوضيح الصورة في ذهن القارئ مثلما جاء على لسانه في كتاب "الحيوان" و"البخلاء" " **ثم ما رأيته قط إلا وكأنه طالب ثأر وشحشان صاحب طائلة ، وكأنه عاشق مغتلم، أو جائع مقرور**[40].."

لقد حاول الجاحظ تقديم سخرية علاجية لبعض الآفات والسلوكات غير الطبيعية فهو حين جاء بسلسلة من الأفعال الماضية فيما سلف وصفه حين قال: "كان إذا أكل ذهب عقله، وجحظت عيناه وسكر وسدر..إلخ" أراد تنبيه القارئ والموصوف إلى ما يسلكه من سلوك جانح قصد تصحيحه وتجاوزه.

يصف البخلاء قائلا: "...**وقد عرفوا بمذهب اجتماعي اقتصادي، يدعي مذهب "الجمع والمنع" وكانوا لا يتبرمون بالانتساب إليه، بل إنه كان عندهم كالنسب يجمع على التحاب وكالحلف الذي يجمع على التناصر، وكانوا إذا التقوا في حلقهم تذاكروا هذا الباب وتطاردوه وتدارسوه التماسا للفائدة واستمتاعا بذكره**..."[41]

*كما تعرض الجاحظ في كتاب "التربيع والتدوير" إلى قضايا علمية وأدبية وفلسفية في أسلوب أدبي مشوب بالسخرية، وهو بسيط أنيق الألفاظ والعبارات،

بعيد عن الغموض، غمس فيه، القضايا الفلسفية والعلمية ومن أمثلة هذه القضايا استهزاء هـ بخصمه قائلا:

"**ولا يوجد التربيع في المصنوع دون المخلوق، وفيما أكره على تركيبه دون ما خلي وسوم (الصفة) طبيعته وعلى أن كل مربع ففي جوفه مدور، فقد بان المدور بفضله وشارك المطول في حصته.."**[42]. ومثل هذا قوله أيضا في طبيعة الإدراك والعنصر الذاتي في رؤية الألوان: " **وخبرني عن لون الطاووس ما هو؟ أتقول بأنه لا حقيقة له، وإنما يتلون بقدر المقابلة؟ أم تقول: إن هناك لونا بعينه والباقي تخييل"**[43]

ولأن الجاحظ متكلما تجلت عبقريته وافتنانه العقلي من خلال ما قال عنه ابن العميد "إن كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا"[44]

*وكانت صناعة المتكلمين تقوم على اتفاق فن الكلام لذلك الجاحظ كان يحسن استشارة الحجة والتلطف لها والاحتيال للاستدلال بها وبواسطتها، كان يذهب بالكلام في كل مجال، ويبلغ به الحد أن يعظم الصغير حتى يعظم، ويصغر العظيم حتى يصغر"[45] كما فعل في قصة الدجاجة مع أبي الهذيل العلاف والمجادلة بين الطول والقصر مع أحمد الحارثي.

على أية حال فإن نزعة الجدل والحوار كانت قوية عند الجاحظ وفي أسلوبه الساخر بالذات، وقد مكنته من الجدال في الحيوان والطبيعية مما هيأ له أن يكون تفكيره فلسفيا، شأنه في ذلك شأن المعتزلة، وهذا لكونه طالع فلسفة اليونانيين وما اتصل بها من منطق أرسطو، وأغلب الظن أنه تأثر بمنهج السوفسطائيين مباشرة من خلال المحاورة واصطناع الكلام والقدرة على الإقناع والإقحام، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسانه في قصة تمام بن جعفر[46].

"**...وكان أن قال له نديم، "ما في الأرض أحد أمشى مني، ولا على ظهرها أحد أقوى مني، قال، وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل أكل العشرة وهل يحمل الرجل إلا البطن لا حمد الله من يحمدك...**"

فإذا قال: لا والله إن أقدر أن أمشي لأني أضعف الخلق عنه وإني لأنهر من مشى ثلاثين خطوة، قال: "وكيف تمشي، وقد جعلت في بطنك ما يحمله عشرون حمالا، وهل ينطلق الناس إلا مع خفه الأكل وأي بطين يقدر على الحركة؟

وإن الكظيظ (الممتلئ من الطعام) ليعجز عن الركوع والسجود فكيف بالشيء الكثير..."[47].

ونختم هذه الشواهد بدجاجة الجاحظ حيث يصور لنا : قصة دجاجة أبو الهذيل العلاف(هو أحد المتكلمين في العصر العباسي الأول) قائلا:

كان أبو الهذيل أهدى إلى موريس(موريس هو ابن عمران كان معتزليا من أصحاب النظام، وكان واسع العلم في الكلام، وهو يخالف القول بالمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد.) دجاجة وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لموريس، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها ،وطيب لحمها وكان يعرفه بالإمساك الشديد، فقال: "وكيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة، قال: كانت عجبا من العجب"، فيقول "وتدري ما جنسها" و "تدري ما سمنها؟" فإن الدجاجة إنما تطيب بالجنس والسن وتدري بأي شيء كنا نسمها وفي أي مكان كنا نعلقها فلا يزال في هذا، والآخر يضحك ضحكا نعرفه نحن ولا يعرفه أبو الهذيل..."[48]

ومن هذا التصوير نكون قد كشفنا حقيقة أخلاق أبي الهذيل كما أرادها الجاحظ أن تكون في تصويره الساخر لاسيما أن الجاحظ يضيف إلى هذا مقطعا آخر بين فيه كيف أن هذه الدجاجة أصبحت علما من الأعلام وتاريخا لا ينسى.

قال: "...وإن ذكروا ميلاد شيء أو قدم إنسان، قال: كان ذلك بعدما أهديتك الدجاجة بسنة وما كان قدوم فلان، وبين البعثة بتلك الدجاجة الأيوم، وكان مثلا في كل شيء وتاريخا في كل شيء"[49].

وهذا ففن التصوير الجاحظي ما هو إلا مرآة كاشفة لنفسيه مصوريه وخباياهم.

كان الجاحظ يجمع بين مستويات تعبيرية مختلفة متنوعة المقاطع فيها الرفيع من الألفاظ كما فيها الوضيع ليوصل رسائله الهزلية ويبلغ مقاصده. أما عن أسلوب الجاحظ الفكري في هذا المجال فكان قويا من حيث القدرات الذهنية والحنكة في عرض الحجج والبراهين، فقد كانت مواطن السخرية فيه تكاد تغيب عن الأذهان العادية لأنها سخرية تقصد إلى المدارك المرهفة لذلك قال: طه الحاجري:

"حتى لقد يرى بعض القراء هذه السخرية أوتلك من صوره الساخرة فلا يكاد يتنبه إلى مواطن السخرية فيها إلا إذا كانت سخرية الذهن الدقيق والذوق الرفيع المهذب، والفن الخالص الممتكن..."

وفي الأخير فإن هذه السمات المختلفة التي ذكرناها ما هي إلا صورة معبرة عن ثقافة الجاحظ الموسوعية، فالجاحظ كتب للماضي والحاضر، والمستقبل، للفكر والفلسفة والأدب، لكل زمان ومكان.

*أما عن تأثر الجاحظ بالفلسفة اليونانية وبأرسطو خاصة يقول محمد غنيمي هلال :" " وفي العصر نفسه بدا الفلاسفة من العرب يترجمون كتب اليونان في النقد، وبخاصة أرسطو، وأخذ يطّلع عليها- إما في أصلها أو في ترجمتها- بعض نقاد العرب،...، والذي يسترعي الانتباه عناية أولئك الفلاسفة وحدهم بالنقد النظري لأرسطو، دون محاولة ممارسته على نحو فعّال، في حين لم يعنَ النقاد بفلسفة النقد، لأنَّ النقد ظلّ في أذهان العرب منفصلاً في جوهره عن الفلسفة"[50].

الخاتمة : نلمس في نصوص الجاحظ أفق معرفي يعكس مكانته السياسية والثقافية إذ كان موقفه الثقافي هو التفكير في توحيد العلوم داخل بنية خطاب معرفي جديد قوامه سلطة المعرفة العقلية التي طرحت بديلا لسلطة المعرفة النقلية.

كان الجاحظ أديبا يعوض الفيلسوف في غيابه إذ اخذ على عاتقه وضع البناء الفوقي لمشروع العقل في الحضارة العربية بعد أن وضع له " ابن المقفع" البناء التحتي ، ولئن كان هذا الأخير يؤسس للعقل سلوكيا "أي إيديولوجيا" فان الحافظ كان يؤسس له معرفيا.

والشأن نفسه مع الشعر وعينة كبيرة من الفلاسفة المسلمين الذين جمعوا بينه وبين الفلسفة لاسيما الشعر الصوفي والجمع بين الخطاب الوجداني الروحي وبدائع وروائع اللغة العربية مما لا يتسع المجال لذكرها في هذا المقام.

حيث أن الفلاسفة المسلمين فطنوا إلى دور الشعر باعتباره فنا من فنون الأدب وعلى هذا الأساس لم يبخسوا الأدب حقه ,بل وظفوه لإبلاغ رسائلهم والذي يقرأ تاريخ الفكر الفلسفي في شيء من التوسع فإنه يستطيع في سهولة أن يلمس كيف أن بعض الفلاسفة صاغوا أفكارهم وآراءهم الفلسفية الخالصة بحيث تبدو في زى أدبي .

فالجاحظ مثلا كان يعرض أفكار المعتزلة في قالب شعري ,ولقب أبو حيان التوحيدي بأديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ,وقد سئل أبو العلاء المعري عن المتنبي وأبو تمام والبحتري من الثلاثة شاعر؟ فقال:حكيمان ،وشاعر ويقصد بالحكيمين المتنبي وأبو تمام بينما الشاعر البحتري .

من هنا يظهر أن الفلسفة والأدب مرتبطان ارتباطا وثيقا والعلاقة بينهما علاقة عشق أبدي، علاقة حب حارق، يجعل كلا منهما عاجزا عن العيش بعيدا عن الآخر[51].

والفلسفة الجمالية لا تبحث بحثًا جزئيًّا في المفردات الفنية، ولا تنظر في قيمتها من حيث الجودة والرداءة، وإنما تبحث في الفنون عامة بحثًا كليًّا من حيث الإبداع، وتذوق جماله، والحكم عليه، بمعنى: أنها تبحث في القيم الفلسفية التي تفسر الجمال في الفنون جميعها، لا في فن بعينه، يعني: لا تأخذ فنًّا مستقلا، إنما تنظر إلى الجنس الأدبي أو الفن الأدبي نظرة عامة، نظرة كلية من خلال مقاييس موضوعة، وقد تبحث في فن من الفنون، ولكن لكي تصل من خلال هذا البحث إلى أحكام كلية، تصلح لتطبيقها على جميع الفروع التي تندرج تحت هذا الفن؛ لتصل إلى أحكام كلية تطبق على جميع الفنون بلا استثناء. ولذا يتضح لنا أن البحث في الفنانين، وبيئاتهم وعصورهم، وظروفهم، وخصائصهم من أجل الوصول إلى نتائج تتعلق بكل جزئية من تلك الجزئيات خاصة.

لابد أن نفرق بين عمل الباحث الذي يؤرخ للفن أو للفنان، وبين عمل الباحث الذي يبحث للأدب من خلال فلسفة جمالية. وكذلك البحث في قصيدة بعينها أو قصة أو

مسرحية؛ للكشف عن معايير الجودة في كلا منها، لا يدخل ضمن مباحث الفلسفة الجمالية.

الهوامش:

[1]- كرد محمد: الميتافيزيقا والشعر بين أفلاطون وهيدغر(رسالة دكتوراه ،جامعة وهران ،قسم الفلسفة)،الجزائر ،سنة2012/2011.،ص109.-

[2]-محمد جديدي : **الفلسفة والأدب: هل الفلسفة نوع من الكتابة الأدبية؟**،بتاريخ 25 ماي 2016. مؤسسة مؤمنون بلا
حدود نقلا عن الرابط : http://www.mominoun.com/articles3978

-المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.[3]

[4] - إبراهيم، طه أحمد. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، بيروت، المكتبة العربية، ،1981ص47.

[1]-أبو نصر الفرابي :**كتاب الموسيقى الكبير** ،تح غطاس عبد الملك خشبة ،ص ص1179-1180.

- أبو نصر الفرابي :**إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين ،دار الفكر العربي، بيروت ،ص ،ص ص 26-27.[6]

- عمر فروخ ،**عبقرية العرب في العلم والفلسفة** ، منشورات المكتبة العلمية ،ط1،بيروت ،1952،ص96 [7].

-طه (الحاجري)**:الجاحظ، حياته وآثاره**، ط2 (القاهرة، دار المعارف، 1969)، ص79.[8]

- العكري الدمشقي (عبد الحي بن أحمد)**:شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، ج1 (بيروت، دار الكتب العلمية بلا سنة)، ص[9]122

[3]- طه الحاجري: المرجع السابق، ص88.

[11]- ياقوت الرومي (يعقوب): **معجم الأدباء** (القاهرة، مطبوعات دار المأمون) الطبعة الأخيرة بدون تاريخ، الجزء 16، ص75

- جميل(جبر): **الجاحظ في حياته وأدبه وفكره**،(دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968)، ص18.[12]

[13]- الجاحظ (أبو عثمان): **رسالة ذم العلوم ومدحها**، ذكرها محمد كرد علي، أمراء البيان، ط2، ج2، (القاهرة مطبعة لجنة التأليف، 1948)،

ص348.أنظر جميل جبر: مرجع سابق ص 150

[14]- عمر (فروخ): **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط4،(بيروت: دار العلم للملايين، 1983)، ص293.

- الجاحظ ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج4، (بيروت، دار الكتاب العربي 1969)، ص90.[15]

[2]- الجاحظ أبو عثمان، **رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية**، تقديم وتبويب وشرح الدكتور علي أبي ملحم، ط1(بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987)،ص128.

- جميل(جبر):**الجاحظ في حياته وأدبه وفكره**،(بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968)،ص[17]152

- شفيق(جبري): **الجاحظ معلم العقل والأدب**، (دار المعارف بمصر، 1948) ص[18]204

1- حنا (الفاخوري): الجاحظ: **سلسلة نوابغ الفكر العربي**، العدد رقم 2،(مصر، دار المعارف، 1956)، ص20

- أمين (أحمد): **فيض الخاطر**، ج4، (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1943)، ص291.[20]

- أمين (أحمد): **ضحى الإسلام**، ج1، ط9 (مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1977)، ص398.[21]

[22]- شوقي (ضيف)، **العصر العباسي الثاني** (سلسلة تواريخ الأدب العربي) العدد رقم 04، ط2،(مصر، دار المعارف، 1995)، ص146

- الجاحظ(أبو عثمان):**أثار الجاحظ ،رسالة القيان**،مصدر سابق ص81. [23]

- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1 (بيروت، دار الفكر للجميع، 1968)، ص75.[24]

- الجاحظ، **آثار الجاحظ القيان**، مصدر سابق، ص81-[25]82

[26] - الجاحظ، **آثار الجاحظ**، مصدر سابق، ص111-112

الجاحظ، **آثار الجاحظ**، مصدر سابق، ص82 .[27]

- الجاحظ (أبو عثمان):**ثلاث رسائل**، ط2، المطبعة السلفية، نشر يوشع فنكل، 1382.[28]

-الجاحظ، **النساء(آثار الجاحظ)**، مصدر سابق، ص82.[29]

- المصدر نفسه ،ص89. [30]

[3]- الجاحظ (أبو عثمان): **البيان والتبيين**، مصدر سابق، ج1، ص51.

- علي(أبو ملحكم): **المناحي الفلسفة عند الجاحظ** (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1980)، ص201.[32]

- الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون،،ج3 (مصر، مكتبة الخانجي، 1965)، ص [33]132

[34] -الجاحظ، **رسائل الأحزان**، القيان، مصدر سابق، ج2، ص128.

[35] - شارل لالو، **مبادئ علم الجمال**، ترجمة خليل شطا (دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، 1982)، ص72.

[36] - الجاحظ:**البخلاء**،(بيروت،دار بيروت للطباعة و النشر ،1980)، ص122.

[37] - فتحي معوض(أبو عيسى):**الفكاهة في الأدب العربي**، مرجع سابق، ص259-261.

[38] -الجاحظ: رسالة التربيع والتدوير، مصدر سابق، ص18.

[39] - الجاحظ (عمر بن محبوب):**البخلاء**، حقق نصه محمد طه الحاجري (القاهرة، دار المعارف بدون تاريخ)،ص79-80.

(*) أحمد هو الشخصية التي جسد فيها الجاحظ فيه التصويري الساخر من خلال مؤله التربيع التدوير وهو احمد بن عبد الوهاب الحارثي.

(*) علي الأسواري: أحد بخلاء الجاحظ في تصويراته الساخرة.

(**) سدر: تحير

انهر: انقطع نفسه من السعي الشديد

تربد: تغير

عصب: تغير

الباقلي: الفول

استفه: أخذه غير متلوث

زاد بالتمر: أي لعب به ورمى به حفرة يرمي فيها الصبيان الجوز.

الكنيز: التمر الذي يذخر في القوارص للشتاء.

[40] -المصدر نفسه ،ص80.

[41] - الجاحظ عمر بن محبوب: البخلاء، مصدر سابق، ص29.

[42] - الجاحظ رسالة التربيع، مصدر سابق، ص62

[43] -المصدر نفسه ،ص86.

[44] - ابن خلكان،(شمس الدين أحمد ابن ابراهيم الأربلي): **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان بما ثبت بالنقل أو أثبته العيان** (طبعة الميمنة)، ج1،ص389.

[45] - ابن حجر(العسقلاني): **لسان الميزان**، سبعة أجزاء، ج4، ط1،الهند، دائرة المعارف النظامية 1330 هـ/ ص356

[46] - تمام ابن جعفر هو أحد بخلاء الجاحظ وأبناء عصره وبيئته.

[47] - الجاحظ، البخلاء، مصدر سابق، ص117-118

[48] - الجاحظ: الحيوان، ، ج5،(طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1925)، ص39-127.

[49] -المصدر نفسه ،ص135.

-محمد غنيمي هلال : **النقد الأدبي الحديث**، ص [50]161

[51] -راجع: ألفت محمد كمال عبد العزيز: **نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد** ،الهيأة المصرية العامة للكتاب،بتصرف ص 144.

قائمة المصادر والمراجع :

قائمة المصادر:

أبو نصر الفرابي :**كتاب الموسيقى الكبير** ،تح غطاس عبد الملك خشبة .

أبو نصر الفرابي :**إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين ،دار الفكر العربي، بيروت .

الجاحظ (أبو عثمان): رسالة ذم العلوم ومدحها، ذكرها محمد كرد علي، أمراء البيان، ط2، ج2، (القاهرة مطبعة لجنة التأليف، 1948)،

الجاحظ أبو عثمان، رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، تقديم وتبويب وشرح الدكتور علي أبي ملحم، ط1(بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987).

الجاحظ (أبو عثمان):رسائل الجاحظ، الرسائل السياسية: تقديم وتبويب وشرح د.علي أبي ملحكم، ط1 (بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987).

الجاحظ، رسالة التربيع والتدوير، تحقيق فوزي، عطوي، بيروت الشركة اللبنانية للكتاب، 1969

الجاحظ: الحيوان، ، ج5،(طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1925).

الجاحظ ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج4، (بيروت، دار الكتاب العربي 1969)،

الجاحظ أبو عثمان، رسائل الجاحظ، الرسائل الكلامية، تقديم وتبويب وشرح الدكتور علي أبي ملحم، ط1(بيروت، دار مكتبة الهلال، 1987)،.

الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط5، القاهرة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، 1985

الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 (بيروت، دار الفكر للجميع، 1968)..

الجاحظ (أبو عثمان):**ثلاث رسائل**، ط2، المطبعة السلفية، نشر يوشع فنكل، 1382.

الجاحظ، النساء، آثار الجاحظ، تحقيق عمر أبو النصر، (بيروت، مطبعة النجوى، 1969)،.

الجاحظ (أبو عثمان):ثلاث رسائل، ط2، المطبعة السلفية، نشر يوشع فنكل، .1382

قائمة المراجع :

أمين (أحمد): فيض الخاطر، ج4، (القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1943).

أمين (أحمد): ضحى الإسلام، ج1، ط9 (مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1977).

ألفت محمد كمال عبد العزيز: **نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد** ،الهيأة المصرية العامة للكتاب.

إبراهيم، طه أحمد. **تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري**، بيروت، المكتبة العربية، ،1981.

ابن حجر(العسقلاني): **لسان الميزان**، سبعة أجزاء، ج4، ط1،الهند، دائرة المعارف النظامية 1330 هـ/ .

ابن خلكان،(شمس الدين أحمد ابن إبراهيم الأربلي): **وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان بما ثبت بالنقل أو أثبته العيان** (طبعة الميمنة)، ج1.

العكري الدمشقي (عبد الحي بن أحمد):شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج1 (بيروت، دار الكتب العلمية بلا سنة).

جميل(جبر): الجاحظ في حياته وأدبه وفكره،(دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968).

حنا (الفاخوري): الجاحظ: سلسلة نوابغ الفكر العربي، العدد رقم 2،(مصر، دار المعارف، 1956).

شفيق(جبري): الجاحظ معلم العقل والأدب، (دار المعارف بمصر، 1948).

شوقي (ضيف)، العصر العباسي الثاني (سلسلة تواريخ الأدب العربي) العدد رقم 04، ط2،(مصر، دار المعارف، 1995).

طه (الحاجري)**:الجاحظ، حياته وآثاره**، ط2 (القاهرة، دار المعارف، 1969)، ص79.

عمر (فروخ): **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**، ط4،(بيروت: دار العلم للملايين، 1983.

عمر فروخ ،**عبقرية العرب في العلم والفلسفة** ، منشورات المكتبة العلمية ،ط1،بيروت ،1952.

محمد غنيمي هلال : **النقد الأدبي الحديث**،(،مصر القاهرة، المكتبة الانجلومصرية، 1951م).

ياقوت الرومي (يعقوب): معجم الأدباء (القاهرة، مطبوعات دار المأمون) الطبعة الأخيرة بدون تاريخ، الجزء 16.

الرسائل الجامعية :

كرد محمد: الميتافيزيقا والشعر بين أفلاطون وهيدغر(رسالة دكتوراه ،جامعة وهران ،قسم الفلسفة ،الجزائر ،سنة2012/2011.

المراجع الإلكترونية:

محمد جديدي : **الفلسفة والأدب: هل الفلسفة نوع من الكتابة الأدبية؟**،بتاريخ 25 ماي 2016.
مؤسسة مؤمنون بلا حدود نقلا عن الرابط :
http://www.mominoun.com/articles3978 :